سلسلة
نظريات الإسلام العسكرية
(١)

النظرية الإسلامية في الحرب النفسية

اللواء الركن
محمد جمال الدين علي محفوظ

دار الاعتصام

دار الاعتصام
للطبع والنشر والتوزيع
القاهرة ٨ شارع حسين حجازى
تليفون ٣١٧٤٨

النظرية الاسلامية
فى الحرب النفسية

سلسلة

نظريات الإسلام العسكرية

« ١ »

النظرية الإسلامية في الحرب النفسية

اللواء الركن

محمد جمال الدين علي محفوظ

بسم الله الرحمن الرحيم



اللواء
الركن المتقاعد
محمد جمال الدين على محفوظ

* ولد فى اغسطس ١٩٢٢ ميلادية ووالده علم من علماء الأزهر هو المغفور له الشيخ على محفوظ عضو هيئة كبار العلماء واستاذ الوعــظ والارشـــاد .

* مدة خدمته العسكرية ٣٣ سنة قضاها فى وظائف القيادة والتدريس والأركان والادارة العليا والتوجيه المعنوى والحرب النفسية والاعلام . وقد انتهت خدمته عام ١٩٧٥ م .

* تخرج فى كلية القـــادة والأركان فى مصر وحصل على دراســات عسكرية عليا فى اكاديمية ناصر العسكرية .

* حصل على دورات دراسية فى كثير من المعاهد الأجنبية لأمريكا وانجلترا وروسيا .

* حصل على ماجستير فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة .

* عمل مديرا للتوجيه المعنوى بعد حرب يونيو ١٩٦٧ م فكان من ابرز اعمـــاله انه اقام منهج اعادة الروح المعنوية على اســـاس منهج الاســـلام .

١ – فجعل « الجهاد فى سبيل الله » هى عقيدة القتال للجيش .

٢ – وجعل « النصر او الشهادة » هى شعار الجيش .

٣ – وجعل « الله اكبر » هى صيحة القتال .

٤ – وجعل لعلماءالدين ووعاظ الجيش دورا كبيرا فى معايشة الجيش وربط نشاط رجاله فى السلم والحرب بالدين وقد كان هذا المنهج من اهم اسباب النصر فى حرب رمضان .

* المؤلفات العلمية والكتب :

له اكثر من ٢٠ كتابا فى العلوم العسكريـــة وفى القيـــادة العسكرية واساليب التعليم والادارة العلمية وفى التوجيه المعنوى ومازال بعض هذه الكتب مقررا للدراسة فى الجيش المصرى .

* تخصص فى دراسة العسكرية الاسلامية منذ اكثر من ربع قرن

ووضع فيها عدة كتب وأبحاث ومقالات فى المجلات الاسلامية فى مصر والعالم العربى كما قدم عددا من الأحاديث الدينية فى الاذاعة والتليفزيون وخاصة برنامج نور على نور وشارك فى أعمال المؤتمر الاسلامى الدولى الذى عقد فى لندن فى فبراير ١٩٧٩ حول الدفاع والعالم الاسلامى ببحث عنوانه « الفكر العسكرى فى الاسلام » .

يحمل لواء الدعوة الى احياء أمجاد العسكرية الاسلامية باعتبارها جانبا رائدا من الحضارة الاسلامية .

ومن احدث مؤلفاته :

١ – كتاب « المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية » .

٢ – كتاب « تربية المراهق فى المدرسة الاسلامية » .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى سبقت حكمته أن تكون الأمة الإسلامية ، أمة قوية مرهوبة الجانب فأوجب عليها الجهاد فى سبيله ، وأمرها باعـداد القوة والمرابطة التى ترهب الأعداء وتخيفهم من عاقبة عدوانهم ، كما فى قوله جل شأنه : ((وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم)) (الحج ٧٨) وفى قوله سبحانه : ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)) (الأنفال ٦٠) .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وامام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعـد ...

● فان الاسلام ، كما نظم أمور الحياة دنيا ودينا ، قد نظم أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، ووضع لها المبادىء والنظريات الأساسية ، التى قامت عليها أول مدرسة عسكرية فى تاريخ العـرب مكتملة الأركان وتحتوى على المبـادىء والنظريات التى تقوم عليها أية مدرسة عسكرية شرقا أو غربا .

● وعلى أساس هـذه المبـادىء والنظريات ، قامت

الاستراتيجية العسكرية الاسلامية ، التى طبقها المسلمون الأوائل فى معاركهم التى خاضوها اعلاء لكلمة الله ، وواجهوا بها أعداء يفوقونهم فى العدد والعدة ، فانتصروا عليهم باذن الله ، وامتدت فتوحاتهم فى أقل من مائة عام من الصين شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ، وهزموا فى المعـركة البحـرية — وهم أبناء الصحراء — أسطول بيزنطة أقوى أساطيل زمانه .

● ثم تعرض العرب والمسلمون — يوم تخلوا عن الجهاد — لحرب حضارية استهدفت طمس معـالم حضارتهم وفرض التبعية عليهم حتى أصبح العسكريون فى كثير من دول العرب والاسلام يدرسون النظريات العسكرية الأجنبيـة ، وأعمال القادة الأجانب ، والتاريخ العسكرى للدول الأجنبية ، وكأنه ليس للعـرب والمسلمين نظريات عسـكرية ، ولا قادة ، ولا تاريخ عسكرى يستحق الدراسة !.

● ان التكليف القرآنى بالجهاد ، وباعداد القوة والمرابطة تكليف قائم وباق حتى تقوم الساعة .

ومقتضى ذلك ألا تفتر عزائم الأمة الاسلامية عن اعداد القوة بعناصرها المتعددة مع الأخذ بكل أسباب التقدم والتطور التى تفرضها طبيعة العصر .

● فواجب الأمة العربية والاسلامية — وهى تتجه نحو النهضة الحضارية الشاملة — أن تتخذ من مبادىء العسكرية الاسلامية ونظرياتها منطلقا لبناء قوتها الذاتية .

● فان من أهم ما تتميز به تلك المبادىء أن لها — بحكم انبثاقها من الدين — من الأصالة ، ما للدين من أصالة ، وأن لها — فى كل عصر — من القوة والصحة والكمال ، ما يجعل الجيوش التى تعمل بها — قوى لا تقهر باذن الله .

● ومن أجل ذلك سـوف نتناول النظريات العسكرية الاسلامية بالعرض والدراسة بحيث تصدر على هيئة سلسلة تختص كل حلقة منها باحدى هذه النظريات .

نسأل الله تعالى أن ينفع بها العرب والمسلمين وأن يوفقنا جميعا الى كل ما فيه عز الاسلام والمسلمين .

لواء
محمد جمال الدين محفوظ
٣٠ ش الشهيد عبد المنعم اسماعيل — الماظة — مصر الجديدة

* * *

الحــــرب النفســــية

فى العلم العسكرى المعاصر

الحرب النفسية سلاح فعال وشديد التأثير فى المعركة ، وقد اجمع العلم العسكرى وخبرة الحروب على انه يساهم مساهمة كبيرة مع اعمال القتال وغيرها من اساليب الصراع فى تحقيق الانتصــار بسرعة وبأقل الخســائر فى الأرواح والمعدات .

فاذا كانت أعمال القتال (باستخدام الأسلحة) تقــوم بتدمير قوات العدو ومعداته ، واذا كانت الحرب الاقتصادية تحرمه من المواد الحيوية ، فان الحرب النفسية تجرد العدو من أثمن ما لديه وهو ((**ارادته القتالية**)) وهكذا تعتبر الحرب النفسية أخطر أنواع الحروب ، لأنها تستهدف فى المقاتل عقله وتفكيره وقلبه ، لكى تحطم روحه المعنوية ، وتقضى على ارادة القتال لديه ، وتقوده بالتالى نحو الهزيمة .

ولقد ادرك رجال العسكرية فى عصرنا خطورة ســلاح الحرب النفسية ، فوضعوه فى الصدارة بين اسلحة الحروب ، ووقر فى قلوبهم الايمان بأنه قد يكون أشــد فاعلية وتأثير من الأسلحة الأخرى فى تحقيق هــدف النصر بسرعة وبأقل الخسائر .

ولقد نوه القادة والزعماء بأهمية الحرب النفسية واثرها فى ادارة الصراع وفى نتائجه فمن ذلك قول القائد الألمانى روميل : ((**ان القائد الناجح هو الذى يسيطر على عقول اعدائه قبل ابدانهم**)) .

وقول الجنرال ديجول ((**لكي تنتصر دولة ما فى حرب عليها أن تشن الحرب النفسية قبل ان تتحرك قواتها الى ميادين القتال ، وتظل هذه الحرب تساند هذه القوات حتى تنتهى من مهمتها**)) .

ويقول تشرشل ((**كثيرا ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ**)) .

مفهوم الحرب النفسية واهدافها

تعرف الحرب النفسية بانها :

« هى الاستخدام المخطط للدعاية أو ما ينتمى اليها من الاجراءات الموجهة الى الدول المعادية أو المحايدة أو الصديقة بهدف التأثير على عواطف وافكار وسلوك شعوب هذه الدول بما يحقق للدولة (الموجهة) أهدافها » .

واهداف الحرب النفسية تختلف باختلاف وصف الدولة التى توجه اليها :

(أ) فمع الدول المعادية :

يكون الهدف هو التأثير على عواطف وأفكار وسلوك

شعوب هذه الدول وجيوشها لتحطيم روحها المعنوية وارادتها القتالية وتوجيهها نحو الهزيمة .

(ب) ومع الدول المحايدة :

يكون الهدف هو التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدول لتوجيهها نحو الانحياز للدولة الموجهة أو التعاطف مع قضيتها أو على الاقل البقاء فى وضع الحياد ومنعها من الانحياز الى الجانب الآخر .

(جـ) ومع الدول الصديقة :

يكون الهدف هو التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدول لتوجيهها نحو تدعيم أواصر الصداقة مع الدولة الموجهة ونحو المزيد من التعاون لتحقيق أهدافها .

لذلك تفضل بعض الدول استعمال لفظ ((**الدعاية**)) Propaganda بدلا من لفظ الحرب النفسية .

ويوجه جهد الدعاية فى ثلاثة الوان جرى العرف على تسميتها بحسب مصدرها كما يلى :

١ ــ الدعاية البيضاء او (الصريحة) :

وهى نشاط الدعاية المعلن والصريح الذى يحمل اسم الدولة التى توجهه وهى تستخدم أحيانا لكى تعضد مركز الدولة ومكانتها مثل الاذاعة ووكالات الأنباء وبعبارة أخرى هى الدعاية التى يعترف بها الجانب الذى يوجهها .

٢ ـ الدعاية الرمادية أو (غير المحددة) :

وهى الدعاية الواضحة المصدر ولكنها تخفى اتجاهاتها وتستهدف خدمة هدف دعائى محدد (مثل الفيلم السينمائى الذى يدعو بطريق غير مباشر الى اعتناق مذهب سياسى معين أو التعاطف معه) . وقد لا تكشف الدعاية الرمادية عن مصدرها حتى تستطيع الدولة الموجهة لها أن تنكر صلتها بها كما حدث فى الحرب العالمية الثانية عندما كانت بعض الاذاعات تعمل دون أن تعلن عن هويتها ان كانت بريطانية أم المانية .

٣ ـ الدعاية السوداء أو (المستترة) :

وهى الدعاية التى لا تكشف عن مصدرها مطلقا ، فهى عملية سرية تماما ومن أمثلتها الصحف السرية والمنشورات والاذاعات السرية والخطابات التى ترسل الى المسئولين .

مهام الحرب النفسية :

وتحقق الحرب النفسية هدفها فى تحطيم روح العـــدو المعنوية وارادته القتالية من خلال المهام الرئيسية الآتية :

(أ) تشكيك العدو فى سلامة وعدالة الهدف الذى يحارب من اجله .

(ب) زعزعة ثقة العـــدو فى قوته من حيث الرجال والعتاد

والقادة ، وثقته فى امكان احراز النصر ، واقناعه بأنه لا جدوى من شن الحرب أو الاستمرار فى القتال .

(ج) بث الفرقة والشقاق بين صفوف العدو وجماعاته .

(د) التفريق بين العدو وحلفائه ودفعهم الى التخلى عن نصرته .

(هـ) تحييد القوى الأخرى وحرمان العدو من محالفتها .

صور وأساليب الحرب النفسية :

وهناك عدة صور وأساليب للحرب النفسية لأداء تلك المهام نذكر منها ما يلى :

(أ) الشعارات والهتافات ، لاثارة انفعالات الغضب والكراهية أو الشجاعة والحماسة .

(ب) الكلمة المسموعة أو المقروءة التى من شأنها التأثير على العقول والعواطف والسلوك طبقا لمقتضيات الموقف (لكل مقام مقال) .

(ج) الاشاعات وهى أخبار مشكوك فى صحتها ويتعذر التحقق من أصلها وتتعلق بموضوعات لها أهمية

لدى الموجهة اليهم ويؤدى تصديقهم أو نشرهم لها الى اضعاف روحهم المعنوية .

(د) الخداع عن طريق الحيل والايهام .

(هـ) التهديد بواسطة القوة .

(و) بث الذعر والتخويف والضغط النفسى .

(ز) الاغراء والتضليل والوعد .



أسس الحرب النفسية
فى الإسلام

وتقوم النظرية الاسلامية فى الحرب النفسية على أساسين هما :

١ ــ اعداد القوة التى ترهب العدو .

٢ ــ الجهاد باللسان .



الأســـــــاس الأول

إعداد القوة التى ترهب العدو

يقول الله تعالى : ((**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**)) (الأنفال ٦٠) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ((**نصرت بالرعب مسيرة شهر**)) (صحيح البخارى) .

ومن ذلك نستخلص ان الاسلام :

١ ــ يأمر باعداد القوة ورباط الخيل .

٢ ــ ويجعل الهدف من ذلك هو ((**ارهاب**)) الأعداء .

اى ان الاسلام قد قيد الأمر باعداد القوة والمرابطة بقوله ((**ترهبون به عدو الله وعدوكم**)) وذلك يفهم منه أن القصـــد هو ارهاب الاعداء واخافتهم من عاقبة التعدى على بلاد الامة.

ومن حديث الرســـول صلى الله عليه وسلم : ((**نصرت بالرعب مسيرة شهر**)) يفهم ان اظهار القوة للاعداء واخافتهم وايقاع الرهبة والرعب فى قلوبهم يحقق النصر عليهم ويؤدى الى تحقيق أهداف الرسالة الاسلامية أكثر من أية وسيلة أخرى من وسائل مواجهة الأعداء .

* * *

الآثار النفسية :

ولا ريب فى أن النتيجة التى يحصل عليها المسلمون من ذلك نتيجة نفسية (سيكولوجية) تستخلص من الحسابات التى يجريها العدو عن احتمالات الكسب أو الخســـارة التى سوف يواجهها فيما لو اتخذ قرارا باستخدام قوته فى العدوان على الأمة .

ان ارادة المقاومة وارادة القتال اصلا هى حالة ذهنية ، ومهمة الحرب النفسية تغيير هذه الحالة الذهنية ــ من خلال اظهار القوة التى ترهب ــ حتى تدفع العدو الى التخلى عن اصراره وعزمه ، والى الاقتناع بأن هزيمته واقعة لا محـــالة اذا قرر أن يواجه قوة المسلمين التى لا قبل له بها .

وهكذا ينشأ لدى العدو اتجاه نفسى يسيطر على افراده فيجعلهم يمتنعون عن استخدام قوتهم أو عن العدوان .

مصادر قدرة القوة الاسلامية على ارهاب العدو :

وتستمد القوة الاسلامية قدرتها على ايقاع الرهبة فى قلب العدو من المصادر التالية التى تستخلص من تحليل الآية الكريمة :

١ — القوة الشاملة .

٢ — القدرة الهجومية .

٣ — سرعة الحركة والمفاجأة .

٤ — التأهب الدائم .

أولا : القوة الشاملة :

فلقد ورد لفظ ((قوة)) فى الآية الكريمة ((**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة**)) مطلقا دون تحديد ، وبذلك فهو يتسع ليشمل كل عناصر القوة ماديا ومعنويا كالقوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية بالاضافة الى القوة العسكرية .

وقد ربط الاسلام بين الاستراتيجية العسكرية والاقتصاد برباط وثيق ، فالمال والاقتصاد عصب الحرب وعدة القوة الحربية بلا جدال .

ويتضح هذا الربط من ذكر ما يحتاج اليه اعداد القوة من مال وانفاق فى نفس الآية من سورة الأنفال :

« ... ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » .

كما يتضح أيضا من فرض الجهاد بالمال مع الجهاد بالنفس على الأمة الاسلامية ، بل ان الجهاد بالمال ورد مقدما على الجهاد بالنفس فى أكثر الآيات التى تحث على الجهاد مثل :

* **« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون »** (التوبة ٢٠) .

* **« يايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون »** (الصف ١٠) .

وعن أبى داود باسناد صحيح عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **«جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »** أخرجه النسائى .

وهكذا يحقق الجهاد بالمال الرهبة فى قلوب العدو من « قوة » المسلمين ، فاذا رأى العدو انه سيواجه من المسلمين قوة عسكرية تساندها قوة اقتصادية لا تنفد ، فسوف لا يستهين بالمسلمين ولا يعلق أمله على التغلب عليهم .

ثانيا ـــ القدرة الهجومية :

والنظرية الاسلامية لا يفوتها أن قدرة القوة على ارهاب العدو لا تتحقق الا اذا تملكت هذه القوة القدرة الهجومية التى تقنع العدو ـــ حين يضع حساباته وتقديراته ـــ بأنه سوف يكون هو الخاسر لو تحرك بعدوان ، لأن القوة الاســـلامية بقدرتها الهجومية سوف تقهره وتنتصر عليه .

اى أن القدرة الهجومية عنصر حيوى من عناصر القدرة على ارهاب العدو ، وهذا يستوحى من :

* لفظ ((**قوة**)) الذى ورد فى الآية مطلقا غير محدد ، ومن هنا فهو ينطوى على القوة الدفاعية والقوة الهجومية .

* ولفظ ((**الخيل**)) (ومن رباط الخيل) الذى ينطوى على مفهوم الهجوم مع ما يدل عليه من المعانى العديدة .

ثالثا ـــ سرعة الحركة والمفاجاة :

وسرعة الحركة والمفـــاجأة من العناصر التى تمنح القوة الاسلامية القدرة على ايقاع الرهبة فى قلب العدو .

ويعرف العسكريون جميعا أن العبقرية العسكرية تكمن فى استغلال هذين العنصرين الاستراتيجيين لاحراز النصر على العـــدو :

* فالحركة السريعة تولد المفاجاة .

* والمفاجأة بدورها تمنح قوة دفع للحركة وتمهد لها الطريق للتغلب على مقاومة العدو بسرعة وفاعلية .

هذا المبدأ يقترب من النظرية الاسلامية التى تربط بين عنصرى سرعة الحركة والمفاجأة وهو ما يتمثل فيما يلى :

١ ــ ((**رباط الخيل**)) فى الآية الكريمة ، وهو يعنى اليقظة والحراسة والتأهب والاستعداد الدائم للقتال الفورى عند الخطر ، مع ما يشير اليه تعبير ((**الخيل**)) من سرعة فى الحركة ومباغتة .

٢ ــ وما يفهم من قول الله تعالى :

« والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا » (العاديات ١ ــ ٥) .

ففى هذه الآيات يقسم الله تعالى بخيل الجهاد المسرعات التى يسمع لأنفاسها صوت هو الضبح من شدة الجرى ، ويتطاير الشرر من تحت حوافرها من شدة قدحها للأرض الحجرية والتى يهجم بها فرسانها على العدو فى وقت الصباح ليأخذوه على غرة ، والتى يكون من شدة جريها انها تثير غبار الطريق فى وقت الصباح ، فتدخل وسط جمع الأعداء فتشتته ، وتنطوى الآيات على تنبيه المؤمنين ليكونوا دائما على أهبة الاستعداد لمهاجمة من تحدثه نفسه باضعافهم .. وقد فهم بعض المفسرين المحدثين معنى أوسع من الخيل ، وهو كل ما يعدو ويطير ، ويثير الغبار ويرسل الشرر .

رابعا ــ التاهب الدائم :

والتأهب الدائم من العناصر التى تقنع العدو بأنه لايستطيع مباغتة المسلمين . والمعروف أن تعرض الجيش للمباغتة يضعف من قدرته وكفاءته القتالية .

من اجل ذلك عنى الاسلام عناية بالغة بالحذر واليقظة والتأهب ، وجعلها من العناصر التى لا تنفصل عن القوة ، فلو تأملنا الآية الكريمة من سورة الأنفال « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل** » نجد أن الله تعالى خص « **رباط الخيل** » بالذكر مع انها داخلة فيما قبلها « **من قوة** » ، وهذا دليل على أهمية المرابطة ، وتأكيد لما بينها وبين القوة من ارتباط وثيق بحيث لا تستغنى احداهما عن الأخرى :

* فالقوة : تحميها المرابطة بالحراسة واليقظة والانذار المبكر ، وهى بدونها تفقد فاعليتها وقيمتها اذا تمكن العدو من المباغتة .

* والمرابطة : فى حاجة الى القوة التى تساندها وتدعمها، وهكذا تشترك المرابطة مع القوة فى تحقيق الهدف وهو ايقاع الرهبة فى قلب العدو « **من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ..** » .

ويحث الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على أن يكونوا على أقصى درجات التأهب وهو ما يفهم من قوله عليه السلام :

« **خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله ، كلما سمع هيعة** (أى صيحة خطر) **طار اليها** » .

وفى رواية أخرى : « **من خير معايش النـــاس لهم رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله ، يطير على متنه** (أى ظهره) **كلما سمع هيعة أو فزعة** (أى الخوف) **طار عليه يبتغى القتل او الموت** » ولقد قدم الرسول صلى الله عليـــه وسلم بنفسه مثلا على درجة التأهب العالية حينما سبق اهل المدينة جميعا ذات ليلة الى مصدر صوت قوى غير عادى أفزعهم فانطلق بعضهم نحو الصوت ، فاذا هم برسول الله عائد من هناك راكبا فرسا عاريا والسيف فى عنقه وهو يقول : **لن تراعوا ..**



الأســاس الثــانى

الجهــــاد باللســــان

قال الرسول القائد عليه الصـــلاة والسلام ((**جاهدوا المشركين بأموالكم وانفسكم والسنتكم**(١))) .

وقال عليه الصلاة والسلام لحسان بن ثابت وكان من شعراء الاسلام ((**يا حسان اهج المشركين وجبريل معك ، اذا حارب أصحابى بالسلاح فحارب أنت باللسان**(٢))) .

وقال أيضا ((**ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذى نفسى بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل** (٣))) (نضح النبل يعنى الرمى بالسهام) .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعبد الله بن رواحة ((**بين يدى رسول الله وفى حرم الله تقول الشعر ؟ فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : خل عنه يا عمر ، فلهى — يعنى القصيدة — أسرع فيهم من نضح النبل**)) .

---

(١) تيسير الوصول ٢٢٨/١ .
(٢) كنز العمل ١١٨/٢ .
(٣) كنز العمل ١١٧/٢ .

وفى رواية : خل عنه يا عمر ، فوالذى نفسى بيده لكلامه اشد عليهم من وقع النبل(١) » .

وتدل هذه الأحاديث على وجوب الجهاد بالنفس والمال واللسان :

(أ) **الجهاد بالنفس** : وهو بالقتال المباشر .

(ب) **الجهاد بالمـــال** : وهو بذل المـــال فى اتمامها يحتاج اليه فى الجهاد كالسلاح ونحوه وهذا ما يستفاد من آيات الجهاد الكثيرة التى وردت فى القرآن الكريم :

(وجاهدوا باموالكم وأنفسكم) .

(جـ) **الجهاد باللسان** : باقامة الحجة على الأعـــداء ، ودعـائهم الى الله تعالى ، ورفع الأصوات عنـــد اللقاء ، وبزجرهم ترويعا لهم ونحو ذلك من كل ما فيه نكاية للعدو ، قال تعالى :

(ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمـــل صالح) (التوبة ١٢٠) .

وتدل الأحاديث أيضا على أن الجهاد باللسان لا يقل أهمية ولا أثرا عن الجهاد بالنفس والمال ، بل قد يكون أشد

---

(١) كنز العمل ١١٨/٢ .

اثرا على الأعداء من القتال : **(والذى نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل)** الحديث .

نستخلص من ذلك المبادىء الأساسية الآتية :

(أ) الجهاد باللسان واحد من اساليب جهاد الأعداء .

(ب) الجهاد باللسان واجب وجوب الجهاد بالنفس والمال .

(ج) الجهاد باللسان قد يكون اسرع واشد تأثيرا على الأعداء من القتال .

صور وأشكال الحرب النفسية فى الاسلام :

وقد زخرت معارك الاسلام فى عصر النبوة بعدة صور واشكال للحرب النفسية نذكر فيما يلى بعض الأمثلة منها :

١ ـ الشعارات والهتافات (صيحات القتال) :

اتخذ المسلمون الشعارات والهتافات لتحقيق عدة أهداف كالتعارف فيما بينهم أثناء الالتحام بالأعداء أو فى الظلام ، واثارة انفعالات الشجاعة والحماسة فى نفوسهم مع ترويع العدو وبث الرهبة والخوف فى قلبه فى الوقت نفسه ، ومن أمثلة صيحات القتال التى استخدمها المسلمون فى عصر النبوة : **((أحد ، أحد))** فى غزوة بدر ، و **((أمت ، أمت))** فى غزوة أحد ، ومنها أيضا : **((يا خيل الله اركبى))**

فى غزوة ذى قرد هذا الى جانب التكبير الذى كان شعار كل مسلم (الله أكبر)(١) .

وما تزال كل الجيوش فى هـــذا العصر تتخـــذ لرجالها صيحات للقتال تحمسهم وتحفزهم الى الاقدام والاستبسال فى المعركة ، وهى تستند فى هذا على ادراكها للعوامل النفسية وأثرها على ارادة القتال .

٢ ــ التفريق بين العدو وحلفائه :

فى غزوة الخندق تجمعت قوى قريش والقبائل الأخرى واليهود للقضاء على المسلمين . وحـــدث أن جاء نعيم بن مسعود الغطفانى (وكانت غطفان من القبائل التى انضمت الى قريش فى التجمع المذكور) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أنه أسلم ولا يعلم قومه ، وطلب منه أن يأمره بما يشاء ، فقال له الرسول ((**انما أنت رجل واحد ، فخذل عنا ما استطعت ، فان الحرب خدعة**)) .

فقام نعيم بهذه المهمة بأسلوب بارع حاذق بحيث حققت مهمته هدفها فى الوقيعة بين المتحالفين وفى ازالة الثقة فيما بينهم .

---

(١) لقد كان لصيحة القتال « الله اكبر » التى اتخذتها القوات المسلحة العربية فى مصر فى حرب العاشر من رمضان آثار معنوية رائعة ســـاعدت الى حـــد كبير على تحقيق النصر على جيش اسرائيل وعلى تحطيم اسطورة أنه جيش لا يقهر .

فقد ذهب نعيم الى يهود بنى قريظة ــ وكان لهم نديما فى الجاهلية ــ فقال لهم : ((**قد عرفتم ودى اياكم ، وقد ظاهرتم قريشا وغطفان على حرب محمد ، وليسوا كانتم ، البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون أن تتحولوا منه ، وان قريشا وغطفان ان رأوا نهزة (أى فرصة) وغنيمة أصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين محمد ، ولاطاقة لكم به ، فلا تقاتلوا حتى تاخذوا منهم رهنا (رهائن) من أشرافهم حتى تناجزوا محمدا**)) .

قالت بنو قريظة : اشرت بالنصح ولست عندنا بمتهم .

ثم خرج نعيم الى قريش فقال لهم « بلغنى أن قريظة ندموا (١) ، وقد أرسلوا الى محمد : هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم ، فأجابهم أن نعم .

فان طلبت قريظة منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا لهم رجلا واحدا .. » .

وجاء نعيم غطفان فقال لهم ((**أنتم أهلى وعشيرتى**)) وقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ماحذرهم .

أرسل أبو سفيان وسادة غطفان الى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فى ليلة سبت وطلبوا منهم الاستعداد للهجوم نهار السبت ، ولكن قريظة اعتذروا بأنهم لا يقاتلون يوم السبت ، ثم طلبت رهائن من قريش وغطفان قبل أن تشرع بأى هجوم .

---

(١) أى ندموا على نقضهم العهد مع النبى .

قالت قريش وغطفان : لقد صدق نعيم ..

ولما رفض طلب قريظة باعطائها رهائن من قريش وغطفان قالت : لقد صدق نعيم ..

وهكذا كانت دعوة نعيم البارعة سببا فى تفرق جمع الأعداء .

٣ ــ تحييد القوى الأخرى وحرمان العدو من محالفتها :

اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة سياسة تقوم على عقد الاتفاقات والمعاهدات مع مختلف القبائل لكفالة حرية الدعوة وحسن الجوار والمعاملة . وكانت النتيجة المباشرة لتلك المعاهدات حرمان قريش من قوى كان يمكنها أن تتحالف معها وتشد أزرها فى صراعها مع المسلمين .

٤ ــ زعزعة ثقة العدو فى احراز النصر :

وتعتبر غزوة الفتح مثلا فذا فى هذا المجال فلقد أدى التخطيط العبقرى الذى وضعه الرسول القائد صلى الله عليه وسلم الذى اعتمد فيه الى أقصى حد على العوامل النفسية الى زعزعة ثقة قريش فى امكان النصر على المسلمين ، حتى لقد قال زعيمهم أبو سفيان لقومه ((**يا معشر قريش : هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به ..**)) .

وقد حقق تخطيط رسول الله أهدافه بفتح مكة بلا قتال (وسوف نناقش هذا التخطيط فيما بعد) .

٥ ـ التخويف والضغط النفسى :

كتب ابو سفيان الى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « نريد منك نصف نحل المدينة ، فان اجبتنا الى ذلك ، والا ابشر بخراب الديار وقلع الآثار .

تجاوبت القبـــائل من نزار لنصر اللات فى البيت الحرام
واقبلت الضراغم من قريش على خيـــل مسمومة ضرام

فأجابه الرسول بكتاب جاء فيه « **وصل كتاب أهل الشرك والنفاق والكفر والشقاق وفهمت مقالتكم ، فوالله مالكم عندى جواب الا أطراف الرماح ، وأشفار الصفاح ، فارجعوا ويلكم عن عبادة الأصنام ، وأبشروا بضرب الحسام وبفلق الهام ، وخراب الديار ، وقلع الآثار** » .

الوقاية من الحرب النفسية

من الحقائق العلمية ان الروح المعنوية للمقاتلين هى أولى دعائم النصر فى المعركة ، وان الحرب النفسيه تستهدف تحطيم هذه الروح ، من أجل ذلك تتخذ الجيوش كل التدابير التى من شأنها تحقيق ما يلى :

(أ) رفع الروح المعنـــوية وتقوية ارادة القتـــال لدى رجالها .

(ب) تحصين رجالها ووقايتهم من آثار الحرب النفسية المعادية .

(ج) ازالة آثار الحرب النفسية المعــادية واســتعادة الروح المعنوية العالية .

والواقع أن هناك علاقة وثيقة بين « رفع » معنويات الجيش بهذه التدابير وبين « خفض » معنويات العدو بالحرب النفسية بالصور والاشكال التى عرفناها ، ذلك لأن هــذا العمل فى كلا الاتجاهين رفعا فى احــدهما وخفضا فى الآخر سوف يزيد المسافة بين مستوى معنويات الطرفين فيساهم بذلك بدور كبير فى احراز النصر على العدو .

طرق الوقاية من الحرب النفسية فى الاسلام :

أولا : الايمان وقوة العقيدة :

تقرر النظرية الاسلامية ان العقيدة الراسخة المؤسسة على الايمان الذى لا يتزعزع هى الركيزة العظمى لتحصين المجاهد ضد الحرب النفسية .

● فالمؤمن ايمــانا كاملا لا يخاف الوعيــد ولا يرهب التهديد ، وليس جبانا رعديدا كأولئك الذين يقول الله فيهم :

(فاذا جــاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت) .

● بل ان المؤمن لا يزيده التهديد والوعيد واســاليب الحرب النفسية المختلفة الا ايمانا وثباتا واستعدادا للبــذل والتضحية كأولئك الذين قال فيهم جل شأنه :

(الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) .

ويتفق علماء النفس وخبراء الحرب النفسية على ان الحرب النفسية ((**تؤثر بفعالية أكثر على الجنود الخالين من العقائد الثابتة وذوى الوعى السياسى الضيق وغير المثقفين**)) .

لذلك كان الايمان بالنسبة للمسلمين نورا يهديهم وكان بالنسبة للأعداء صخرة تتحطم عليها أساليبهم ومحاولاتهم للنيل من معنويات المسلمين ، فلقد دس أبو سفيان الى المسلمين من يثبطون عزائمهم ويرهبونهم من لقاء قريش وحربها ، كذلك دخل ناس من هذيل — من أهل تهامة — المدينة فسألهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبى سفيان فقالوا ان المشركين قد جمعوا لكم جموعا كثيرة فاخشوهم وخافوهم ، واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم ، وعلى الرغم من ان ذلك كان بعد الهزيمة العسكرية التى وقعت بالمسلمين فى أحد وهو ظرف يعتبره خبراء الحرب النفسية من افضل الظروف الملائمة للحرب النفسية ، الا ان محاولة الأعداء اليائسة لم تنجح فى زعزعة معنوياتهم بل زادتهم يقينا فى دينهم وقوة وجرأة على مواجهة أقسى التحديات فكان جوابهم فى مواجهة هذه الحرب النفسية : ((**حسبنا الله ونعم الوكيل**)) .

ولذلك أعطاهم الله النعمة والفضل وصرف عنهم السوء ورضى عنهم ، وفى ذلك يقول جل شانه :

(فانقلبوا بنعمة من الله وفضــل لم يمسسهم ســوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) .

● واذا كان من اهم أهداف الحرب النفسية التخويف من الموت والفقر ومن القوة الضاربة للمنتصر ومن محاولة جعل النصر حاسما بالدعوة الى الاستسلام وبث الاشاعات والاراجيف واشـــاعة الاستعمار الفكرى بالغزو الحضـــارى واشاعة اليأس والقنوط .

فان المؤمن حقا لا يخشى الموت لانه يؤمن بأنه لا يموت الا بأجله الموعود :

قال تعالى : **(اذا جـــاء أجلهم فــلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .**

وقال تعالى : **(فاذا جـــاء أجلهم لا يستأخرون ســـاعة ولا يستقدمون) .**

وقال تعالى : **(وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله)**

وقال تعالى :

(أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة)
وقال تعالى :

وقال تعالى : **(قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) .**

ان المؤمن الحق يعتقد اعتقادا راسخا بأن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى وما أصدق قول خالد بن الوليد رضى الله عنه عندما حضرته الوفاة :

« ما فى جسمى شبر الا وفيه طعنة رمح أو سيف وهانذا أموت على فراشى كمـــا يموت البعـــير فـــلا نامت أعين الجبناء » .

● والمؤمن حقا لا يخاف الفقر لانه يعتقد اعتقادا راسخا بأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى وانه يرزق النملة المنفردة فى الصخرة المنفردة فى البحر المحيط فكيف ينسى رزقه ؟ !

قال تعالى : (**والله يرزق من يشاء بغير حساب**) وقال تعالى : (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب**) وقال تعالى : (**فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون**) وقال تعالى : (**وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها**) .

● والمؤمن الحق لا يخشى قوات العدو الضاربة فمـــا انتصر المسلمون فى أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم بعدة أو عدد ، بل كان انتصارهم بالاسلام . قال تعالى : (**قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين**) وقال تعالى : (**يا أيهـــا النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين**) .

● والمؤمن حقا لا يقر بانتصار احد عليه مادام فى حماية

عقيدته فهو لا يستسلم أبدا ولا يفكر بالاستسلام لأنه يؤمن بأن انتصار العدو عليه قد يدوم ساعة ولكنه لا يدوم الى قيام الساعة قال تعالى : **(ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس)** .

● والمؤمن حقا لا يستسلم بعد هزيمته لأنه يعلم بأن بعد العسر يسرا قال تعالى :

(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون)

وقال تعالى :

(ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا) .

● والمؤمن حقا يقاوم الاستعمار الفكرى ويصاول الغزو الحضارى الذى لا طائل من ورائه لأن له من مقومات دينه وتراث حضارته ما يصونه من تيارات المبادىء الوافدة التى تناقض دينه وتراثه وتذيب شخصيته وتمحو آثاره من الوجود . قال تعالى :

(قل يأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين) .

وقال تعالى : **(قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين)** .

● والمؤمن حقا لا يقنط أبدا ولا ييأس من نصر الله

ورحمته قال تعالى : **(لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا)** وقال تعـــالى : **(ومن يقنط من رحمته الا الضالون)** وقال تعالى : **(وان تصبهم ســـيئة بما قدمت أيديهم اذاهم يقنطون)** وقال تعالى : **(وان مسه الشر فيئوس قنوط)** .

وفى التـــاريخ الحربى الاســـلامى أمثلة كثيرة على قوة العقيدة فى مواجهة الحرب النفسية للعدو ، ومنها أن قائد الروم فى معركة اليرموك بعث الى خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين يقول :

« قد علمت أنه ما أخرجكم من بلادكم الا غلاء الســـعر وضيق ذات اليد ، وانى قد رأيت أن أعطى كل رجل منكم عشرة دنانير وراحلة تحمل حملهـــا من الطعـــام والكسوة فترجعون الى بلادكم وتعيشون بين أهاليكم . فاذا كان العام القادم بعثتم الينا فبعثنا لكم بمثله ، فانا قد جئناكم ومعنا من الجيوش والعدد ما لا قبل لكم به » .

فرد خالد على هـــذه الرســـالة ــ التى تنطوى على التخويف والضغط النفسى وعلى أساليب التخذيل والدعوة الى الاستسلام من خلال الوعود والاغراء بالأموال والطعام والكساء وعدم تعرضهم للقتل ــ قائلا :

ــ ما أخرجنا من بلادنا جوع ولا ضيق .

ــ ولكننا معشر العرب نشرب الدماء ، وقيل لنا انه ليس أطيب من دمكم فجئنا لنهريق دماءكم ونشربها .

ـ لقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ويرغبون فى الآخرة كما ترغبون فى الدنيا .

وبدهى أن العرب لا تشرب الدماء ، ولكن الأثر النفسى تحقق على الفور فى قلوب ضباط الأركان فى قيــادة جيش الروم ، فقد مال بعضهم على بعض وقالوا :

ـ هذا ما كنا نسمع به عن العرب من شربها للدماء .

ثانيا ـ الوعى باهداف العدو وأساليبه فى الحرب النفسية :

ان الوعى بأهداف العدو وأساليبه فى الحرب النفسية من اهم عناصر الوقاية من تأثيرها ولذلك نجد كل الجيوش تطالب كل جندى بأن يكون واعيا ومدركا وعارفا بما يلى حتى لا يخدعه العدو أو يضلله :

* ماذا يدبر العدو ضد الوطن ؟

* ما هو هدف دعايته ؟

* ماذا يريد العدو منك أن تفعله ؟

* ما هــو أسلوب الحرب النفسية للعــدو وما هى طبيعة دعايته ؟

ومن وجهة نظر علم النفس . فان الوعى بأهداف العدو وأساليبه فى الحرب النفسية يحصن المقاتل ضد آثار تلك الحرب ، لأنه يجعله مستعدا استعدادا نفســيا لمواجهتها

وعدم الاستجابة لها والتأثر بها ، وخاصة اذا كان مسلحا — بالاضافة الى هذا الوعى والمعرفة — بالايمان القوى والعقيدة الراسخة .

وقد عنى القرآن أشد العناية بكشف أهداف أعداء الاسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين وفضح أساليبهم ومحاولاتهم للتفريق بين المسلمين والقضاء على وحدتهم وأمنهم ، وللتخذيل والتوهين وتثبيط العزائم ، ومحاولتهم للتشكيك وزعزعة الثقة فى النصر على العدو ، وأرشد المسلمين الى طريق مواجهة هذه المحاولات ومقاومتها والقضاء عليها . وهو ما نبينه باختصار فيما يلى :

(أ) فضح محاولات التفرقة ومقاومتها :

قال الله تعالى :

(يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) (آل عمران ١٠٠) .

والمعنى أن الله تعالى كأنه يقول : هؤلاء أعداؤكم يعملون دائما على تفريقكم ، ومحاولة اضلالكم والايقاع بينكم ، فان تطيعوهم فانهم لا يكتفون منكم بتفرق يوهن قوتكم ويزلزل اخوتكم وانما يظلون يتابعون عملهم ضدكم حتى تكفروا وتخضعوا لهم وتصيروا مثلهم :

(يردوكم بعد ايمانكم كافرين) .

ثم قال تعالى :

(وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) (آل عمران ١٠١) .

والمعنى : وأنتم يجب أن تكونوا أثبت الناس على الحق وأشدهم تمسكا به لان آيات الله تتلى عليكم ورسوله قائم بينكم فاذا مات رسول الله فمعكم كتاب الله وسنة رسول الله ، ولن تضلوا ماتمسكتم بهما وعملتم بما فيهما والتففتم بايمان وحب حولهما . وعار عليكم أن تكونوا مؤمنين مهديين بنور الله وكتابه ثم تنقلبوا وتعودوا الى الضلال ومتابعة أعدائكم وتقليدهم فيما يضر ، غافلين عما انعم الله به عليكم من الهدى والنور والمبادىء التى ترفع شأنكم وتسعد حياتكم وترضى ربكم « وكيف تكفرون (تختلفون) وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله » وعبر عن الاختلاف بالكفر لأن الاختلاف يوصل الى الكفر أو لأنه ملامح الكافرين ودأبهم .

ثم قال تعالى :

(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) . (آل عمران ١٠٢ — ١٠٣) .

فى الآيتين السابقتين وجه الله تعالى نداءه الى المؤمنين ليصغوا اليه ويهتموا بأمره ونهيه وارشاده ثم امرهم بأن

يتقوه حق تقاته وان ينفضوا عن أنفسهم كل آثار الجاهلية من الكفر والفرقة والعداوة والبعد عن الخضوع لله ((**ولاتموتن الا وأنتم مسلمون**)) وان يجعلوا كل أمورهم محكومة بدين الله تعالى لان فيه الحماية من كل ما يضعفهم أو يذلهم . ثم نهاهم عن التفرق الذى هو الضعف والفشل وتمكن الأعداء .

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) .

وعليهم أن يذكروا ما كانوا عليه فى الجاهلية من عداوة وتقاتل وتفرق مما تسبب عنه اضعاف شأنهم وتسلط عدوهم عليهم .

(واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) .

هذا هو الطريق لأمة تخطو الى عزتها وتشق طريقها بين الاشواك الى حضارة تنشدها وحياة تستحقها وكرامة تحفظ عليها انسانيتها وعزتها وليس هناك طريق آخر غير الذى أضاءه الله للمؤمنين ليسلكوه ودلهم عليه ليأمنوا الوقوع فى الاخطار والمهالك .

ولذلك ختم الله الموقف كله بقوله تعالى :

(كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

(ب) كشف محاولات التخذيل وتثبيط العزائم :

يقرر القرآن الكريم ان الدور الذى يلعبه أعداء الدين فى

التخـذيل وتثبيط العزائم واضعاف الهمم له خطـورته اذا انساق فى تياره ابناء الأمة ، ويوضح انه كلما لقيت دعواتهم آذانا صاغية فانهم يفرحون بذلك ويستبشرون وهذا شأنهم فى كل عصر .

ومن الأمثلة التى أوردها القرآن فى هـذا المجال أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين ـ عندما أمر الرسول عليـه الصلاة والسلام بالاعداد لغزوة تبوك ـ الى أن يتخلوا عن الرسول ولا ينفروا فى لظى الشمس ووهج الحر .. فجاءت الآية الشريفة تحذر من اتباعهم وتنبئهم ان جهنم أشـد حرا وتطلب من الرسول الا يستعين بهم فى غزوة أخرى .

قال تعالى :

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسـول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون * فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) (التوبة ٨١ ـ ٨٣) .

فالقرآن هنا لا يكشف محاولات تثبيط العزائم ولا يحـذر المسلمين من الاستجابة لها فحسب ، بل يقرر أيضا ضرورة تطهير الجيش من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم عليه .

(جـ) كشف محاولات زعزعة الثقة فى النصر :

ويكشف القرآن أيضا محاولات أعداء الأمة لزعزعة ثقتها

فى النصر ، فأورد مثالا لذلك أولئك المنافقين الذين أرادوا أن ينفثوا سمومهم فى أهل المدينة يشككونهم فى وعد الله ورسوله بالنصر والفتح المبين ، فركزوا على جانب التوهين والتخذيل والتخويف وأضعاف العزائم ليتركوا الرســول — فى غزوة الخندق — وحده مع نفر قليل ، وليرجعوا الى بيوتهم متعللين بأنها غير محصنة (وكان الخندق خارج المدينة) .

قال تعالى :

(واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض (أى شك ونفــاق) **ما وعدنا الله ورســوله الا غرورا** (أى باطلا من القول) **واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة** (أى سائبة ضائعة ليست بحصينة ومعرضة للعدو) **وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا) .**

(د) القضاء على محاولات التشكيك فى النصر او التهوين من قيمته :

ومن صور الحرب النفسية محاولات التشكيك فى النصر الذى حققه المسلمون أو التهوين من قيمته .

ويرشد الاســلام الى الاسلوب الأمثل لمواجهة هــذه المحاولات وتفويت الفرصة على الأعــداء لتحقيق أغراضهم الخبيثة .

ونسوق لذلك مثــلا ما حدث بعد غزوة بدر ، فقد كان للنصر الذى أحرزه المسلمون آثاره السيئة على نفوس اليهود

والمشركين ، فما ان سمعوا انباءه قبل أن يعود المسلمون الى المدينة حتى حاولوا اخفاءه وعملوا على التشكيك فى امكان وقوعه ، وحاولوا اقناع أنفسهم بعدم صحة ما سمعوا ، وزادوا على ذلك بأن اشاعوا اخبارا كاذبة ليوهنوا من عزيمة المسلمين وليقضوا على ما سمعوا فقالوا ان محمدا قد قتل وان أصحابه قد هزموا واخذوا يؤيدون قولهم بوجود ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم مع زيد بن حارثة (وكان الرسول قد بعثه بأخبار النصر الى المدينة) فقالوا :

هذه ناقته نعرفها جميعا لو انه انتصر لبقيت عنده ، وان هذا الذى يقوله زيد بن حارثة (عن أنباء انتصار المسلمين) حالة من الهذيان الذى أصيب به نتيجة الفزع والرعب من وقع الهزيمة .

فلما تحقق خبر الانتصار اسقط فى يد الأعداء وزادت حسرتهم لما أصبحوا عليه من هوان ومذلة حتى اثر عن بعض اليهود قولهم .

((بطن الأرض اليوم خير من ظهرها)) .

وشعر اليهود بالخطر الداهم عليهم من قوة المسلمين وازدياد هيبتهم فأخذوا يكيدون للمسلمين ويشككون فى مبادىء دينهم وفى قيمة انتصارهم وجعلوا يتغامزون عليهم ويأتمرون بهم حتى فكروا اكثر من مرة فى اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولقد جعلت هذه المواقف الخبيثة من جانب اليهود وتصرفاتهم

الملتوية الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر جانبهم ويتخذ المواقف الحاسمة معهم ،فأرسل اليهم فى اسلوب حازم تحذيرا قويا حتى يعودوا الى رشدهم يقول فيه : ((**يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة واسلموا فانكم قد عرفتم انى نبى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله اليكم**)) .

فى هذه الرسالة الدعوة الى الايمان والصدق فى القول وفيها التحذير الشديد لليهود لمخالفة عهدهم معه والجزاء المنتظر لكل مخالف للدين الحق وهى تنطوى على التأثير النفسى الذى يلقى فى قلوبهم الرعب .

(هـ) القضاء على محاولات التخويف والضغط النفسي :

ومن صور الحرب النفسية أيضا محاولات التخويف والضغط النفسى ، ويتضح ذلك — على سبيل المثال — من أسلوب رد اليهود على تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم الذى وجهه اليهم بعد بدر اذ قالوا :

((لا يغرنك يا محمد انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس)) .

ويكشف هذا الرد عما جبل عليه اليهود من غرور وغطرسة وكبرياء زائفة وعن محاولتهم للتقليل من قيمة انتصار المسلمين فى بدر بادعائهم بأنها كانت معركة مع جماعة لا علم لهم بالحروب ولا بفنونها ، ثم يحاول اليهود فى ردهم استخدام التأثير النفسى المضاد ضد المسلمين بالتخويف والقاء

الرعب والفزع من لقـــائهم بادعائهم انهم هم أهل الحـــروب وأرباب المعارك ((**لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس**)) .

ومن امثلة محاولات التخويف والضغط النفسى ما قام به أبو سفيان بعد غزوة أحد محاولا استغلال الحـــالة النفسية والمعنوية التى كان عليها المسلمون لتحويل انكسارهم المفاجىء الى هزيمة ساحقة ، فبعث اليهم بأن المشركين قد جمعوا لكم ما لا طاقة لكم به . قاصدا التخويف والضغط النفسى .

غير ان كل هذه المحاولات وغيرها سواء من قبل اليهود أو من قبل المشركين لم تفلح فى زعزعة ايمان المسلمين أو كسر شوكتهم بفضل قوة ايمانهم وثبات عقيدتهم ، بل ان هـــذه الأساليب التى قصد بها التخويف والتهـــديد زادت المسلمين ايمانا وتصميما وهو ما يفهم من قوله تعالى :

(الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) .

وانزل الله تعالى تأييدا للمسلمين وخذلانا لأعدائهم فقال جل شأنه :

(قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد * قد كان لكم آية فى فئتين التقتافئة تقاتل فى سـبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم راى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار) (آل عمران ١٢ — ١٣) .

وقد تحقق نصر الله للمؤمنين وثبتت أقدامهم فى الجزيرة

العربية كلها ، وهزم الكفر وحزبه من المشركين واليهود وحقق الله وعده ((**وكان حقا علينا نصر المؤمنين**)) .

ثالثا : كتمان الأسرار ومنع ترويج الشائعات :

ان توجيهات الاسلام تسد منافذ الحرب النفسية ، ولاتعطى غير أهل العلم من القادة والرؤساء حق الحديث عن كل ما يتصل بأسرار الجيش والأمة ، لأن هؤلاء أدرى بما يصلح أن يقال وما لا يقال ، ((**فليس كل ما يعلم** (يعرف) **يقال ، ولا كل ما يقال حضر أهله ، ولا كل ما حضر أهله حان وقته**)) كما يقول الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه .

وهكذا لا يترك الاسلام أمر الكلمة ــ ولاسيما فى الظروف الحساسة ــ لغير المختص المسئول ، ولذلك لام القرآن المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالاسلام كما لام ضعفاء المسلمين لأنهم كانوا يفشون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذيعونه ويتحدثون به قبل ان يقفوا على حقيقته سواء كان هذا الأمر يتصل بحالة الحرب أم بحالة السلام والأمن ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

(**واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه(١) منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا**) (النساء ٨٣) .

---

(١) يستنبطونه اى يستخرجون خفاياه .

وكما حذر الاسلام من اذاعة الأسرار طلب من المسلمين أن يتثبتوا مما يصلهم من الأنباء قبل الركون اليها والعمل بها ، فان ذلك ليس من شأن المؤمنين ولا من خلال الصادقين كما يفهم من قوله تعالى :

(يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) .

وحذر القرآن من تناول ما لم نستيقنه أو نعلمه كما يفهم من قوله تعالى :

(ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) .

والانســـان الذى كرمه الله بالعقـــل لا يليق به أن يكون مصدر علمه ظن أو تخمين أو استنتاج بدون مصادر موثوق بهـــا .

ولقد نهى الله تعالى عن أن يكون مصدر العلم الظن ونعى على الكافرين كذلك فى قوله : ((**ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس**)) .

وقوله جل شأنه :

(وان الظن لا يغنى من الحق شيئا) .

كذلك يقر القرآن ما ينطوى عليه بعض الظن من اثم ويامر باجتنابه كما يفهم من قوله تعالى :

(يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) .

ولقد ينطلق لسان الانسان بكلمة قبل ان يقدر عواقبها ، وقد يكون عارفا بعواقبها ولكنه يستهين بها فيفتح على أمته ابواب خطر ، ويجر على نفسه وعلى الناس ويلات كان يمنع منها ويقف سدا حائلا دونها شيء من الحذر وتدبر العواقب ، والنظر الدائم الى صالح الأمة .

ان الله سبحانه يحصى خلجات النفس ونجوى الفؤاد ثم بعد ذلك يحاسب ، فيثيب أو يعاقب ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

((ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه . وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه الى يوم يلقاه)) .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه ((**تحروا الصدق وان رأيتم فيه الهلكة فان فيه النجاة ، واياكم والكذب وان رأيتم فيه النجاة فان فيه الهلكة**)) .

ويوم القيامة لا ينفع الناس الا صدقهم مع الله ومع ضمائرهم ومع الناس فى أقوالهم وافعالهم كما يفهم من قول الله تعالى :

(هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) .

أما الكاذبون فان الله سبحانه يقول فيهم :

(ويوم القيـــامة ترى الذين كذبوا على الله وجـــوههم مسودة) .

ويحذر الاسلام من ترويج الاشاعات ويعتبر أشد أنواع الكذب أن يدعى الرجل بالباطل انه راى بنفسه الشيء الذى يذيع عنه ، كما يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

« ان أفرى الفرى — أكذب الكذب — **أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا » .**

كما يكشف الاسلام مدى الجريمة التى يقترفها مروجو الاشاعات كما يفهم من قوله تعالى :

(اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) .

وقوله :

(ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

وهكذا يدعو الله تعالى المسلمين لكي يكونوا صادقين فيما يقولون وفيما يفعلون وان يقدروا الكلمة قبل أن ينطلق بهـــا اللســان وان يعرفوا أبعادها وعواقبها ويدركوا انها أمانة وان

الكذب فيها أو قولها لغير ما قيلت له غش وخداع وكذب على الله الذى يكشف الدخائل ويدرك الخفايا .

ويرشد الاسلام الى الاستجابة لقول الله تعالى :

(يايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) .

ولقول رسوله صلى الله عليه وسلم :

((من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليـــه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)) .

رابعا : التصدى للقوى المضادة المستترة :

ومما تتميز به الاستراتيجية الاسلامية فى اعـــداد القوة الرادعة التى ترهب العدو انها لاتهدف الى ردع العدو الخارجى الظاهر فقط ، بل تهدف أيضا الى ردع أعداء الأمة من القوى المضادة التى تعمل ضدها فى الخفاء والتى قد يكون خطرها — اذا غفلت الأمة عنها أو لم تتصد لها — أفدح بكثير من خطر العدو الظاهر .

وهذا هو ما يفهم بوضوح من نص الآية الكريمة :

((وأعـــدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيـــل

ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)) .

● ان ((**عـــدو الله**)) واضح وهو كل خوان أثيم يعتدى على حرمات الله ويجاهر بمعصيته ..

● ((**وعدوكم**)) واضح وهو عدو المسلمين وهو كل من يسىء الى عقيدتهم أو الى أوطانهم أو الى حقوقهم المقدسة .

● اما الفئة الثالثة وهى المعبر عنها بقوله جل شأنه :

((**وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**)) .

فقد فسرها السابقون بالمنافقين الذين يلبسون ثوبا ظاهره الرحمة وباطنه العــذاب الا انه ينطوى بلغة العصر على كل القوى المضادة التى تحقد على الأمة وتنفث سمومها فى الخفاء وتروج الاشاعات وتثير الفتنة وتغرى بالسلبية والفساد وتقتل الارادة والايجابية .. ومن هذه الفئة من يكون داخل البـــلاد الاسلامية وبين صفوف أبنائها ومنهم من يكون خارجها يدبر ويخطط ويتحرك بكل الأساليب العلمية للحرب النفسية والغزو الفكرى الهدام .

من أجل ذلك فقد نبه الاسلام المسلمين الى تلك الفئة من الأعداء الخفيين واوجب على الأمة الاسلامية اعداد كل وسائل القوة التى تردعها .

إزالة آثار الحرب النفسية

وكما يوجه الاسلام الى أساليب التحصين والوقاية من الحرب النفسية ليفوت على الأعداء أغراضهم الخبيثة كما قدمنا ، نراه يوجه أيضا الى أساليب ازالة آثارها من قلوب المسلمين وعقولهم .

فلا ينكر أن الحرب النفسية قد تترك آثارا فى نفس المقاتل وخاصة فى ظروف الهزيمة حيث تتضاعف الآلام النفسية لأسباب متعددة منها ما هو داخلى كالحزن والتلاوم ، ومنها ما هو خارجى كشماتة الأعداء وطمعهم فى المهزومين ، ومحاولة استثمار نجاحهم فى حملتهم لتحقيق المزيد من الضغط النفسى والتدمير المعنوى .

لكن الاسلام يوجه أبناءه الى الطريق القويم لاستعادة قواهم المعنوية على الأسس التالية :

- سرعة الرجوع الى أصول العقيدة والاعتصام بالدين .
- الاستعانة بالصبر والصلاة .
- تجنب الضعف النفسى والاستسلام للحزن .
- مواجهة الشائعات بالحقائق الدامغة .
- ازالة الآثار بالعمل العسكرى .

١ ــ سرعة الرجوع الى أصول العقيدة والاعتصام بالدين :

تقرر النظرية الاسلامية ــ كما قدمنا ــ أن قوة العقيدة هى الحصن الحصين للوقاية من الحرب النفسية ، كما تقرر أيضا أن سرعة الرجوع اليها والاستمساك بها تأتى على رأس أساليب ازالة آثار تلك الحرب .

واروع الأمثلة التى تذكر فى هذا المجال ما حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد استغل المشركون والمنافقون الموقف على الفور وأخذوا يشنون الحرب النفسية ضد المسلمين لزعزعة ايمانهم واثارة الفتنة بينهم ، وقد أسرع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى حيث جثمان النبى وهو لا يصدق أنه مات ، فكشف عن وجهه فألفاه لا حراك به ، فحسبه فى غيبوبة لابد أن يفيق منها ، وعبثا حاول المغيرة اقناعه بالحقيقة المؤلمة ، فقد ظل مؤمنا بأن محمدا لم يمت . فلما الح المغيرة ، قال له : كذبت . وخرج معه الى المسجد وهو يصيح : **« ان رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى ، وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد أن قيل : قد مات . والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى ، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أنه مات »** .

واستمع المسلمون بالمسجد الى هذه الصيحات من جانب عمر يرسل الواحدة تلو الأخرى وهم فى حال أشبه شىء بالذهول ، لولا أن خرج أبو بكر الصديق وحسم الموقف بخطبته المشهورة التى قال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس ، انه ، من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت » . ثم تلا قوله تعالى : **« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين »** (آل عمران ١٤٤) .

وهكذا زايل القلوب كل شك فى أن محمدا قد مات ، ولما كان الغد من ذلك اليوم خطب عمر الناس فقال : **« انى قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهده الى رسول الله ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله سيدبر امرنا ويبقى ليكون آخرنا ، وان الله قد ابقى فيكم كتابه الذى به هدى رسوله ، فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له »** .

وهكذا يكون الاعتصام بالدين أقوى أسباب الوقاية من الضلال ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال : **« لقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا من بعدى .. كتاب الله وسنتى »** .

٢ ـ الاستعانة بالصبر والصلاة :

والصبر والصلاة من اقوى أساليب الوقاية والعلاج معا لازالة الضغوط النفسية ، يقول الله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل احياء ولكن لا تشعرون ، ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين

الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون)).

((لتبلون فى أموالكم وانفسكم : ولتسمعن من الذين أوتوا الكتـــاب من قبـــلكم ، ومن الذين اشركوا أذى كثيرا ، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور)) .

((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمـــا ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله الا ان نصر الله قريب)) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **((واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا))** . .

كما يقول فى وصف المؤمن :

((عجبا لامر المؤمن ان أمره كله خـــير ، وليس ذلك الا للمؤمن ، ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)) .

٣ ـــ تجنب الضعف النفسى والاستسلام للحزن :

يدعو الله تعـــالى المؤمنين الى تجنب الضـــعف النفسى (الوهن) الذى لو أصابهم ضاعت قوتهم وأصـــبحوا **((غثاء كغثاء السيل))** .

كما يدعوهم جل شانه الى عدم الاستسلام للحزن لكى يستعيدوا قوتهم ويبقوا على روحهم المعنوية وارادتهم القتالية

القوية ، ويذكرهم بحقهم الذى يجاهدون من أجله ، وبعدالة قضيتهم ، وبالايمان الذى يملأ قلوبهم ، فيقول سبحانه :

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » (آل عمران ١٣٩ ـ ١٤٢) .

ولنأخذ ما حدث فى غزوة أحد مثلا لذلك :

فقد انتهت الغزوة بهزيمة المسلمين ، لكن الله سبحانه وتعالى لا يترك عباده المؤمنين للآلام النفسية تطحنهم وتوهن عزائمهم ، وانما يأخذ المولى بأيديهم ويبين لهم سنته فى كونه فى رحمة ولطف يجدد بذلك عزائمهم ، ويحيى به نفوسهم .

ولهذا ينهى الله عز وجل عباده عن الضعف والحزن ويعدهم بأن النصر النهائى للمؤمنين ويذكرهم بأن الذى أصابهم اليوم قد أصاب مثله أعداءهم من قبل فى غزوة بدر ، أن الله يداول الأيام بين الناس ، والعاقبة دائما للمتقين ، وانما رضى الله للمؤمنين المحنة ليحقق لهم أغراضا خمسة :

١ ـ ففى ظلال المحن والشدائد يظهر الايمان الصادق .

٢ ـ وينعم بعض المجاهدين بالشهادة التى هى بداية الخلود وليست نهاية الحياة .

٣ — ويتضح كذلك الصامد من غيره .

٤ — وليكفر بهــذه المحن ذنوب المؤمنين ويرفع بها درجاتهم .

٥ — وبالمواجهة بين الجبهـــة المؤمنة والجبهـــة الكافرة تنحصر الموجة الباغية الطاغية ، ويدمر أهل الحق أهل البغى والباطل ، وهذا هو الطريق الى الجنة ونعيمها وهو — كما هو واضح — طريق لا يشقه الا الصابر المجاهد .

بهذا الأدب القرآنى يؤدب الله عباده فى ظروف النكسات وفى أوقات الهزائم ليزيل آثارها النفســية ، وليخرجهم منها أصلب عودا وأمضى عزيمة وأقوى ارادة وكل هذا نلمحه فى الآيات ١٣٩ — ١٤٢ من سورة آل عمران .

٤ — مواجهة الشائعات بالحقائق الدامغة :

ليس هناك مثل الحقائق وسيلة للقضـــاء على الحرب النفســية وازالة آثارها ، تلك حقيقة علمية يقررها علمـــاء النفس وخبراء الحرب النفسية ..

ان غيبة الحقيقة تولد لدى الانسان فراغا فكريا يجعله فريسة سهلة للاشاعات والأخبار المضللة التى يذيعها الأعداء مستغلين ذلك المناخ الصالح الذى يتهيأ لهم لتحقيق أغراضهم فى تدمير الروح المعنوية .

ولا تفلح وسائل تكذيب الاشاعات والاخبار المضللة فى

ازالة تلك الآثار الهدامة مثلما تفلح الحقيقة التى هى السبيل الأوحد لقطع الشك والقضاء على البلبلة والغموض .

ومن الأمثلة التى تساق فى هذا المجال ما حدث فى غزوة أحد من اشاعة قتل النبى ، فى وقت عصيب وفى ظروف بالغة القسوة ، فكان لها اثر شديد فى نفوس المسلمين فخارت قواهم والقى كثير منهم ما معهم من السلاح .

يصور لنا ذلك الصحابى الجليل انس بن النضر حينما مر بعمر بن الخطاب فى جمع من الأنصار والمهاجرين قد القوا سلاحهم فقال لهم ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ، قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم استقبل القوم حتى قتل ..

ولقد كان رد الرسول القائد على اشاعة مقتله ان صعد فوق الجبل ليطمئن أصحابه ويرد اليهم الثقة فى انفسهم ، وكان عليه الصلاه والسلام ينادى ((**الى يا فلان الى يا فلان أنا رسول الله**)) .

وهكذا كانت الحقيقة الدامغة بوجود رسول الله بنفسه حيا ابلغ رد يقضى على ما أشيع عن مقتله ، ولم تؤد هذه الحقيقة الى ازالة الآثار المعنوية للاشاعة فحسب ، بل أدت دورها الايجابى الفعال فى تجميع القوى المبعثرة وفى رد الثقة فى النصر الى المسلمين .

٥ ــ ازالة الآثار بالعمل العسكرى :

ويصل اهتمام النظرية الاسلامية بازالة آثار الحرب النفسية الى القيام بالعمل العسكرى اذا اقتضى الأمر .

فانه بعد ما كان فى أحد ، جعل الرسول القائد صلوات الله وسلامه عليه يفكر فيما خلفته الهزيمة من آثار على هيبة المسلمين :

(أ) فأهل يثرب من اليهود والمنافقين والمشركين يظهرون اشد السرور لما كان من هزيمته وهزيمة أصحابه .

(ب) وسلطان المسلمين بالمدينة الذى كان قد أستقر فلم يبق لأحد أن ينازع فيه ، يوشك أن يضطرب ويتزعزع .

(ج) وكبير المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول قد خرج على الجماعة وعاد من احد ولم يشترك فى القتال بدعوى ان محمدا لم يسمع رايه أو ان محمدا غضب على مواليه من اليهود .

(د) ولو ترك امر نتيجة المعركة على النحو الذى انتهت اليه لبقيت الهزيمة هى الكلمة الأخيرة بين المسلمين وقريش ، ولهان أمر محمد وأصحابه على العرب ولتضعضع سلطانهم بالمدينة ، ولكانوا عرضة لاستخفاف قريش بهم والاستهزاء منهم فى أنحاء شبه الجزيرة .

وهكذا كان لابد من ضربة جريئة تخفف من وقع هزيمة أحد وترد الى المسلمين قوتهم المعنوية وتدخل الى روح اليهود والمنافقين الرهبة ، وتعيد الى محمد وأصحابه سلطانهم بيثرب قويا كما كان ..

فلما كان الغد من يوم أحد أمر الرسول القائد صلوات الله وسلامه عليه المسلمين بالخروج لمطاردة العدو على الا يخرج الا من حضر الغزوة ، فخرج المسلمون حتى بلغوا حمراء الأسد(١) .

فوقع فى روع أبى سفيان ان أعداءه جاءوا من المدينة بمدد جديد ، وابلغه معبد الخزاعى « **ان محمدا قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه وكلهم أشد ما يكون عليكم حنقا ومنكم للثار طلبا** » .

فخاف أبو سفيان لقاء المسلمين ، لكنه فكر فيما يؤدى اليه فراره من آثار ، فلجأ الى الحيلة والى أساليب الحرب النفسية ، فأرسل الى المسلمين من يبلغهم انه قد أجمع السير اليهم ليستأصل بقيتهم (أسلوب التخويف) .

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بلغته رسالة أبى سفيان لم يتضعضع عزمه بل ظل فى مكانه يوقد النار طيلة الليل ثلاثة أيام متتابعة ليدل قريشا على انه على عزمه وانه منتظر رجعتهم ..

وأخيرا فترت همة أبى سفيان وقريش وعادوا ادراجهم الى مكة ورجع المسلمون الى المدينة وقد استردوا كثيرا من هيبتهم .

---

(١) موضع يبعد عن المدينة ثمانية اميال .

تطبيق النظرية الإسلامية
فى الحرب النفسية

وتعد غزوة فتح مكة التى وقعت فى شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة مثالا رائعا للنظرية الاسلامية فى الحرب النفسية فى مجال التطبيق العملي فلقد كسب الرسول القائد صلى الله عليه وسلم أكبر موقعة فى تاريخ الاسلام من غير حرب ومن غير اراقة دماء ويكشف مخططه العبقرى الذى وضعه واسلوبه فى ادارة عملية الفتح عن أركان تلك النظرية .

أولا : استغلال الأثر النفسى للمباغتة :

اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم كل الترتيبات التى أمنت له مباغتة ممتازة للغاية كانت من أهم أسباب اجبار قريش على الاستسلام دون مقاومة . وتعتبر المباغتة التى حققها الرسول من زاوية فن الحرب ((**مباغتة استراتيجية**))(١) كما يعرفها العسكريون ولا يستطيع تحقيقها الا القلائل من القادة الأفذاذ :

---

(١) المباغتة (المفاجأة) فى العلم العسكرى هى « احداث موقف لا يكون العدو مستعدا له » ، فاذا أمكن اخفاء نية الهجوم ومكانه ووقته =

● فقد حرص الرسول على كتمان قراره بالخروج لفتح مكة حتى على أقرب المقربين اليه ، فلم يبح لأبى بكر أقرب أصحابه الى نفسه ، ولا لعائشة بنت أبى بكر أحب نسائه اليه ، وبقيت نواياه سرا مكتوما حتى تمت جميع الاستعدادات للحركة .

● وحرص عليه الصلاة والسلام على الحيلولة دون تسرب المعلومات عن حركته الى قريش فبث العيون والأرصاد والدوريات داخل المدينة وخارجها لهذا الغرض ، وقد مكنت هذه الترتيبات من كشف أمر الرسالة التى أراد حاطب بن بلتعة ارسالها الى قريش تحمل خبر خروج المسلمين فبعث الرسول على بن أبى طالب والزبير بن العوام فأدركا المرأة التى كانت تحمل الرسالة وأخذاها منها .

● وبقى النبى صلى الله عليه وسلم يقظا كل اليقظة حتى وصل ضواحى مكة ، ونجح بترتيباته فى حرمان قريش من معرفة تدابير المسلمين حتى لقد تعذر عليها معرفة هوية

= كانت المباغتة كاملة ويطلق عليها « المباغتة الاستراتيجية » ، وهى ليست بالأمر الميسور تحقيقه الا بتخطيط يكون غاية فى المهارة والحذق والخداع والسرية ..

أما اذا وقعت المباغتة فى نطاق محلى مثل مهاجمة العدو من اتجاه لا يتوقعه ، أو استخدام أسلوب جديد فى القتال فان المباغتة فى هذه الحالة تسمى « مباغتة تكتيكية » .

الجيش الكبير الذى عسكر على اربعة فراسخ من مكة ، فقد أوقد عشرة آلاف مسلم نيرانهم ، ورأت قريش تلك النيران تملأ الأفق البعيد ، فأسرع أبو سفيان بن حرب ، وبديل بن ورقاء ، وحكيم بن حزام بالخروج باتجاه النيران حتى يعرفوا مصدرها ونوايا أصحابها واهدافهم ، فلما اقتربوا من موضع معسكر المسلمين ، قال أبو سفيان لصاحبه بديل :

« **ما رايت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا** » . فرد عليه بديل : « **هذه والله خزاعة حمشتها الحرب** » ، فلم يقتنع أبو سفيان بهذا الجواب ، فقال :

« **خزاعة أقل وأذل من ان تكون هذه نيرانها وعسكرها** ».

● وبعث الرسول سرية أبى قتادة الأنصارى الى « **بطن اضم** » لتحويل الأنظار عن الاتجاه الحقيقى لحركة الجيش واخفاء نواياه .

● ولم يستطع أبو سفيان حين قدم لمقابلة الرسول فى المدينة أول الأمر أن يعرف نوايا المسلمين . فقد حرص كل من لقيه منهم على حرمانه من الحصول على معلومات عنها .

ثانيا : اظهار القوة للتخويف والضغط النفسى :

● اوصى الرسول صلى الله عليه وسلم عمه العباس باحتجاز ابى سفيان فى مدخل الجبل الى مكة ، حتى تمر به جنود المسلمين ، فيحدث قومه عما رآه عن بينة ويقين ، فيقضى على اى امل لديهم فى المقاومة ..

قال العباس : ((**خرجت بابى سـفيان حتى حبسـته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله ، ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ، من هـؤلاء ؟ فأقول : سليم .. فيقول : مالى ولسليم ؟ ثم تمر القبيلة ، فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فاقول : مزينة . فيقول : مالى ولمزينة ؟ حتى نفدت القبائل ، ما تمر به قبيلة الا سألنى عنها ، فاذا أخبرته ، قال : مالى ولبنى فلان ... حتى مر الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء وفيهـا المهاجرون والأنصار ، لا يرى منهم الا الحدق من الحـديد فقال : سبحان الله ! يا عباس ، من هـؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحـد بهؤلاء من قبل ولا طاقة ! .. والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما**)) .

قال العباس : يا ابا سفيان انها النبوة . قال : نعم اذن .. عند ذاك قال العباس لأبى سفيان : ((**النجاء الى قومك**)) .

فأسرع أبو سفيان الى مكة وقال لقومه : ((**يا معشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به**)) .

● واختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لمضيق الوادى بالذات لوقوف أبى سفيان يدل على براعة واحكام فى تدبير أمر التخويف والضغط النفسى ، فمرور الجيش فى مضيق ، يجعل أبا سفيان يرى قوة الجيش عن كثب وهى تمر عليه ، ولو كان اختار موضعا فى الصحراء المكشوفة لتفرق الجيش فيها ، ولما وقع التأثير المعنوى المطلوب .

ثالثا : زعزعة ثقة العدو فى قدرته على المقاومة :

● فلقد نظم الرسول صلى الله عليه وسلم جيش المسلمين بطريقة جعلت المشركين يترددون فى مقاومته ، فقد كان الجيش يتألف من المهاجرين والأنصار ، ومسلمى أكثر القبائل العربية المعروفة يومذاك : ألف رجل من بنى سليم ، وألف رجل وثلاثمائة من مزينة ، واربعمائة من بنى غفار ، وأربعمائة وألف من بنى جهينة ، وأربعمائة من اسلم ، وعدد من تميم وأسد وقيس وغيرها من القبائل الأخرى ..

هذا التنظيم اصاب المشركين بالتردد ، واضعف من الدافع لديهم الى القتال ، لأن كل قبيلة لها فى جيش المسلمين عدد كبير ، بل ان كثيرا من القبائل تعتبر نجاح هذا الجيش نجاحا لها على الرغم من اختلاف العقيدتين ، والأكثر من ذلك ، فان انتصار هذا الجيش لا يعتبر فخرا لقبيلة دون أخرى ، كما أن فشل أية قبيلة فى التغلب عليه ، لا يعتبر عارا عليها ، لان هذا الجيش لم يكن لقبيلة دون أخرى ، بل لم يكن للعرب دون غيرهم ، بل كان للاسلام ولمعتنقى هذا الدين من العرب وغير العرب .

● وجعل الرسول خطته لدخول مكة بحيث تؤمن تطويقها من جهاتها الاربع :

١ ــ قوات بقيادة الزبير بن العوام ، تدخل من الشمال .

٢ ــ قوات بقيادة خالد بن الوليد ، تدخل من الجنوب .

٣ ـــ قوات الأنصار بقيادة سعد بن أبى عبادة ، وتدخل من الغرب .

٤ ـــ قوات المهاجرين بقيادة أبى عبيدة بن الجراح وتدخل من الشمال الغربى من اتجاه جبل هند .

● **هذا التشكيل يحقق هدفين فى غاية الأهمية :**

١ ـــ ضمان القضاء على أية مقاومة فى أية جهة من مكة فى الحال .

٢ ـــ تشتيت قوات قريش الى اقسام لمقاومة كل رتل من ارتال المسلمين على انفراد ، فتكون قوات قريش ضعيفة فى كل مكان .

● وأخيرا اكمل الرسول صلى الله عليه وسلم ضربته النفسية باعطاء الامان لقريش على لسان أبى سفيان اذا هى استسلمت بلا مقاومة .. ذلك انه لما جىء بأبى سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم ، أسلم ليحقن دمه ، فقال العباس :

« يا رسول الله ، ان أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فاجعل له شيئا » قال الرسول صلى الله عليه وسلم : **« نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن اغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن »** .

رابعا : تجريد العدو من الحلفاء والمناصرين :

● أضف الى ما تقدم شعور قريش بأنها تقف وحدها بلا حليف ولا نصير ، وذلك نتيجة للسياسة التى اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة والتى تقوم على عقد الاتفاقات والمعاهدات مع مختلف القبائل لكفالة حرية الدعوة وحسن الجوار والمعاملة ، فكانت النتيجة المباشرة لتلك المعاهدات حرمان قريش من قوى كان يمكنها أن تتحالف معها أو تشد أزرها .

● ثم ان آنتشار الاسلام بين قسم كبير من القبائل ومن ضمنها قريش ينطوى على ((**تحييد**)) للقسم الآخر الذى بقى على الشرك وخاصة بالنسبة للمعتدلين منهم الذين يرون أن لا جدوى من القتال ويعتبرون الحرب كارثة تحيق بهم .

هكذا وبهذا المخطط العبقرى ، فتح المسلمون مكة بلا قتال باذن الله ، فبهذا المخطط غزا النبى صلى الله عليه وسلم عقول أعدائه ومعنوياتهم فقضى على ارادة القتال لديهم ، وجردهم من كل أمل فى المقاومة ، أو النصر ..

***

محتويات الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة
كلمة عن المؤلف	٧
مقـدمة	١١
الحرب النفسية فى العلم العسكرى المعاصر	١٥
أسس الحرب النفسية فى الاســلام	٢١
الأساس الأول ــ اعداد القوة التى ترهب العدو	٢٣
الأساس الثانى ــ الجهاد باللسان	٣١
الوقاية من الحرب النفسية	٣٧
ازالة آثار الحرب النفسية	٥٩
تطبيق النظرية الاسلامية فى الحرب النفسية	٦٩

الحلقــة القــادمة :

النظــرية الإسلاميــة

فى القيــادة الحربيــة

دار العلوم للطباعة

القاهرة: ٨ شارع حسين حجازى (القصر العينى)
ت: ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب
٤٠٣١٠ ــ ١٩٧٩

الترقيم الدولى ٠ ــ ١٧ ــ ٧٣١٨ ــ ٩٧٧